التطرف الديني وأثره على التعايش السلمي في العراق بين عامي 2014-2017 (تنظيم داعش نموذجا")

م. علية عبد الحسين سعيد نصر الله

م. د. هناء عبد الواحد عبد الرضا

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية

hanna.abdalwaheid@uobasrah.edu.iq

الملخص

يتناول البحث دور التطرف الديني من خلال الحركات السلفية الجهادية في إشاعة الإرهاب والتخريب والفوضى في العراق خلال الفترة 2014–2017 ودور المرجعية الدينية والقيادة الجهادية في محاربة التطرف الديني والتيارات السلفية الجهادية وتلك هي أهم المحاور التي سيحاول البحث التطرق إليه .

Religious Extremism And Its Impact On Coexistence Peaceful In Iraq Between The years 2014–2017 (The Organization Danish A model)

Aliya Abdu Al Hussein said

Hana Abdul Wahid Abdel Reda

Basra university– College Of Education Humanities

Abstract

Deals with Research The Role of Religious Extremism Through The Safi movements Jihadist in Spearing Terrorism a rumor And Chaos in Iraq From Through The Period 2014–2017 And Role Of Reference Religious Leadership in The fighting Religious Extremism And Salami Currents That The Most Important That you Will Try Looking Find Broaching Extremism to it

أهمية البحث :

- التعريف بدور المرجعيات الدينية والقيادات الجهادية والمؤسسات العلمية والفكرية والمدنية في محاربة التطرف والتيارات السلفية الإرهابية وفضح وكشف زيف عقائد تلك التيارات .
- يكمن أهمية البحث في توضيح دور الحوار الحضارة الإسلامي الأصيل بالدعوة إلى الوحدة وإبراز منهجية الرسالة الإسلامية وصفوتها (أئمة أهل البيت "ع ") في نشر ثقافة التسامح وبناء الإنسان.
- استثمار إمكانات المؤسسات الأكاديمية والحوزوية والمدنية والاجتماعية والكفاءات العلمية والمعرفية والحكومية المتنوعة لوضع إستراتيجية شاملة لمحاربة الفكر الإرهابي وسبل الوقاية منه والكشف عن الوسائل الناجحة والناجعة لتحقيق تلك الأهداف. .

أهداف البحث :

- ديمومة التقدم والازدهار العلمي للبلد من خلال استقطاب الباحثين المبدعين والتواصل مع الحوزة من خلال الدراسات التاريخية .
- ترصين وتدعيم استقرار المجتمع وتقوية تماسك نسيجه المتنوع لتحقيق التقارب والتعايش السلمي والمجتمعي بين فئات المجتمع من خلال ترسيخ منهج الاعتدال والتسامح والحوار ونبذ كافة أشكال التطرف والإرهاب التكفيري .
- مناقشة إشكالية التطرف الديني في عصر العولمة وبيان منابعه ومخاطره وأثاره على المجتمعات .

المقدمة :

لقد افرز التطرف الديني مثل اليهودي والمسيحي والإسلامي شخصيات وأحزابا" ، انبثقت منها جماعات سلفية جهادية متطرفة لأتمت للدين والإنسانية بصلة ، وللتطرف جذور ودوافع دينية وسياسية وسيكولوجية متعددة ، تركت أثارا" واضحة بين مكونات التعايش السلمي وخصوصا" ان هذه الجماعات تتخذ من الدين الإسلامي منهجا"في أدائها ، وأصبحت أكثر تأثيرا"على الواقع العراقي والعربي وحتى العالمي وعلى مختلف الأصعدة ومن هذا المنطلق يمثل مشكلة البحث والتي يمكن مناقشته من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :-ماهي الخلفية التاريخية لهذه الجماعات السلفية الجهادية ، وأسباب ظهورها في العراق بشكل خاص ؟ والى أي مدى أثرت الجماعات السلفية (داعش) على التعايش السلمي في العراق ؟ماهية السبل والإجراءات لمواجهتها لتحقيق التعايش والسلم الاجتماعي والوحدة الوطنية ؟

قسم البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة ، تطرق المبحث الأول إلى نبذة تاريخية للحركات السلفية وتطورها ونشأة الحركات السلفية الجهادية في العراق ،إما المبحث الثاني بحث ظهور (تنظيم داعش الإرهابي) في العراق ،أما المبحث الثالث فقد وضح مفهوم التعايش السلمي واثر الجماعات السلفية

الجهادية (داعش الإرهابي)على التعايش السلمي في العراق بين عامي 2014–2017 وأخيرا" تناول مساعي ودور المرجعية الدينية في التصدي لداعش الإرهابي .

المبحث الأول : أولا"–

نبذة تاريخية :نشأة وتطور التطرف الديني (ظاهرة الحركات السلفية الجهادية)

مرت السلفية الجهادية (1)كغيرها من الحركات المسلحة في العالم بمراحل نشؤ وتكون لتظهر بعد ذلك بمظهرها الحالي الذي نشهده الآن ،وقد مثلت المفاهيم والأفكار التي تبناها منظرو السلفية الجهادية البني الأساسية التي منها انطلقت الغايات والأهداف والاستراتيجيات والسياسات الخاصة بالحركة السلفية الجهادية .على الرغم من ان المصطلحات والمفاهيم ، التي ظهرت في بداية القرن العشرين الميلادي من أبو الأعلى المودودي 1903– 1979 وأوسط القرن نفسه من سيد قطب 1906 – 1966 تحولت إلى منطلقات فكرية للحركة ، الا ان تلك المفاهيم ارتبطت بجذور وشواهد تاريخية ، اعتبرت بمثابة الجذور الحقيقة للحركة (2)

يمكن اعتبار إن ما جرى من الخوارج إلى حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد هي الشواهد والأحداث التاريخية ، التي تعتبر الجذور التاريخية للحركة (3). إما ظروف الاحتلال البريطاني للهند وتسلط الغالبية الهندوسية وقهرها للأقلية المسلمة هناك ، أدت بأبي الأعلى المودودي إلى إن ينتج مصطلح "الجاهلية الجديدة " ومصطلح "الحاكمية الإلهية " كمفاهيم للحركة ،إما ما حصل من ظروف تعرضت لها الحركة الإسلامية والأخوان المسلمين في مصر من اعتقالات وتعذيب وإعدامات لعناصرها كلها ولدت لسيد قطب الدافع لتوظيف المفاهيم وصبها بقالب حركي ،ليصبح بذلك هو منشأ ومحول المفاهيم إلى أفكار حركية تحمل الطابع السياسي والاجتماعي التغيري لينظر بذلك لجاهلية المجتمع ، وكفرانيه الحكام، وضرورة تأسيس الجماعة او الطليعة لتقوم باعتزال المجتمع نفسيا"وماديا"وبالمواجهة التغيرية للحكام في بلاد المسلمين والأنظمة الصليبية بواسطة الجهاد والعنف فقط ، واخذ هذا التيار الجديد بالتبلور أكثر وتأثره الكثير من الشباب والدعاة الجدد وتوسع لينتشر خارج السعودية الى مصر والسودان والكويت والأردن وسوريا ، وأصبحت له معالم واضحة للعيان حتى قبل ظهور حركة طالبان في باكستان (4)

لقد مثلت أفغانستان في بداية الثمانينيات– اثر احتلال السوفيتي –السلفية الجهادية ساحة نموذجية لهذا التيار الحركي الآخذ بالنمو والتبلور لتحقق تلك الساحة لتجمع بشطريه القطبي الاخواني والوهابي السلفي للاتحاد فيما بينهم بواسطة دعاة وأعلام أمثال الاخواني الفلسطيني عبدا لله عزام والقطبي الاخواني أيمن الظواهري والوهابي السلفي السعودي أسامة بن لادن ، فأوجدت أرضية خصبة لنمو هذا الفكر في اطارما يسمى تنظيم القاعدة وحدثت في إطارها مساجلات فكرية أدت إلى نمو الفكر التكفيري وسط هذه المجموعة (5)في مثل تلك البيئة وبتمويل سعودي وإسناد باكستان وغض طرف أمريكي نشأة حركات السلفية الجهادية كحركة طالبان وتنظيم القاعدة ، أعلنت أفغانستان في عام 1998 عن اتحاد حركات جهادية عدة تحت

مسمى (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبين)ليغيروا المواجهة نحو العدو البعيد (أمريكا وإسرائيل) بدلا"من العدو القريب (الأنظمة الحاكمة في بلدان المسلمين) (6) .

من خلال ما تم طرحه ،ان نشؤ الجماعات السلفية الجهادية استمدت إيديولوجيتها من افكارالعلماء أمثال ابن تيمية وسيد قطب ومحمد عبد بن الوهاب وهذا الخطأ والخلل الفكري للجماعات السلفية في عدم إدراكهم وفهم لحقيقة الصراع الحقيقي للأمة الإسلامية .

يتضح مما سبق، ان الجماعات السلفية المتطرفة بعد ان تبنت مفاهيم الحاكمية وجاهلية المجتمعات المعاصرة من قبل علماء الدين والفقه كسيد قطب وأبو الأعلى المودودي ، نتج عن ذلك ، مسألة استخدام العنف من خلال تكفير الأنظمة الحاكمة والمجتمعات الموالية لها وأزالتها عن طريق العنف او التأثير عليها بتعكير صفوة التعايش السلمي فيما بينهما .

ثانيا":نشأة الحركات السلفية الجهادية في العراق:

بدأ ظهور الوجود الحركة السلفية الجهادية عام 1952 في كردستان متأثرة بمد الأخوان المسلمين آنذاك ثم شكلت حضورا" فاعلا" عام 1971 ثم تطور ملامح التيار الجهادي ، الذي يؤمن بالجهاد والعنف كحل لنشر الإسلام عام 1978 خلال المد الحركي الإسلامي ، الذي انتشر في الشرق الأوسط عام 1985 ، شهدت كردستان العراق ظهور ما يسمى ب(الرابطة الإسلامية) في كردستان العراق عام 1987 ، التي طرحت من رحمها العديد من الفصائل والحركات الإسلامية منها (حركة أنصار الإسلام)(7) كما ساعدت انتفاضة الشعب العراقي عام 1991 التي كان الأكراد جزءا" منها ونزحوا إلى بلدان مجاورة إقليمية كإيران وأفغانستان هربا" من بطش النظام وعلى أثره تأسيس حركة أنصار الإسلام في كردستان العراق عام 2001 وعقب الاحتلال الأمريكي عام 2003 انتقلت داخل العراق وبالتحديد في الموصل وكركوك وديالى (8).

ومن بين الجماعات السلفية الجهادية التي تأسست عام 2003 (رجال الطريقة النقشبندية)نجحت في تأسيس جيش النقشبندي في عدد من المدن السنية من بينها الموصل وكركوك وتكريت ، وحركة مجلس العشائر الذي يضم أكثر من سبعين عشيرة وقبيلة عربية سنية ، وتمتلك أكثر من أربعين فصيلا" مسلحا" يتوزعون في مدن الرمادي والخالدية والكرمة والفلوجة والموصل وصلاح الدين،وحركة كتائب ثورة العشرين وتعد أول جماعة جهادية في العراق وتكون من مزيج يشمل على سلفيين وصوفيين وتتميز بالكمائن بواسطة العبوات الناسفة والهجمات المباغتة وتمتلك ثقلا" كبيرا" في بغداد والانبار وصلاح الدين وجزء من كركوك(9)

تتفق جميع الحركات السلفية الجهادية في العالم على الغاية الكبرى التي نهضت من اجلها وهو تأسيس الخلافة الإسلامية وفق الحاكمية الإلهية والولاء والبراءة وان هذه الغاية لا تتحقق الا بالجهاد ولاشيء غير الجهاد الذي هو (ذروة سنام الإسلام) ورسمت لذلك أهدافا" متفرعة عن الغاية الكبر ، أهمها تأسيس

المجاميع والحركات الجهادية التي تخوض هذه المعركة التي وضعت لها إستراتيجية عمل تناسب الظروف الموضوعية والبيئة لساحة العمل (10)

نستنتج مما تقدم ،ان بروز ظاهرة الادعاء بالجهاد من قبل علماء الدين بغض النظر عن نوعية العدو المقاتل لهم سواء العدو القادم او الماضي ، يدل على حجم الضغط الذي يتعرض له المجتمع العربي والإسلامي عبر زمن طويل من جهة ، وحجم الآثار التي تركتها الأنظمة الحاكمة التي لم تكن بالمستوى المطلوب ، ولم تضع معالجات لتسوية الآثار والنتائج المترتبة عن تلك الأنظمة من جهة أخرى ، فأنها بالتالي تصطدم دائما" مع استقرار الحاكم او الحكومة ، الأمر الذي ترتب على تلك المخلفات انقياد المجتمعات إلى المجهول .وهذا ما قام به تنظيم داعش الإرهابي في العراق الذي سيحاول المبحث الثاني الإجابة على التساؤلات حول هذا التنظيم :ما هو المقصود بتنظيم داعش ؟ ومتى ظهوره بالعراق والأسباب وراء ذلك ؟وما هي العوامل التي ساعدت على ظهوره ؟والى أي مدى اثر التنظيم على الأوضاع العامة بالعراق ؟ .

المبحث الثاني :تنظيم الدولة الإسلامية في العراق (داعش الإرهابي)

أعلن المتحدث باسم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق الشيخ (محارب الجبوري)في 15 أيلول 2006 عن تأسيس الدولة الإسلامية في العراق في بغداد والانبار وديالى وكركوك وصلاح الدين ونينوى وأجزاء من محافظة بابل واسط ، وتم تعيين (أبو عمر البغدادي) أمرا" للدولة وطلب من علماء العراق وشيوخ العشائر من أهل السنة مبايعته على السمع والطاعة ، وذكر البيان ان أسباب الإعلان عن هذه الدولة هو حماية الدين والأهل وحتى لا تكون فتنة وتضيع دماء الشهداء وتضحيات أبناء المجاهدين سدى (11)

اتبع تنظيم داعش منهج امني ذا مستوى عالي في الاتصالات واللقاءات وتبادل البريد وأسس وزارت للتنظيم أهمها كانت وزرا الحرب اذ قام بتسمي أبو حمزة المهاجر (عبد المنعم عز الدين البدوي) مصري الجنسي وزيرا" للحرب ، كما اهتم التنظيم كثيرا" بمسألة الأعلام فقدتم أنشاء مركز إعلامي تحت اسم (مؤسس الفرقان لإنتاج الإعلامي والتوزيع)وكذلك (مركز الفجرللأعلام) اذ اعتبرتا الجهتين الرسميتين الناطقتين باسم وزارة الأعلام الخاصة بالدولة الإسلامية في العراق والشام (12)وبعد جهود استخباري قامت بها (خلية الصقور الاستخبارية) التابعة لمكتب رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي تم الاستدلال على المخبأ السري لأمير تنظيم دولة العراق الإسلامية أبو عمر البغدادي ووزير حربه ابو حمزة المهاجر بالتعاون مع القوات الأمريكية أدت إلى مقتل أبو عمر وابنه الأكبر ووزير حربه وحارسهما سعودي الجنسية في 19 نيسان 2010 في عملية أطلق عليها (وثبة الأسد).

أعلن تنظيم دولة العراق الإسلامية في 16 أيار 2010 تعيين أبي بكر البغدادي (إبراهيم عواد إبراهيم علي ألبدري) أميرا" جديدا" خلفا" لأبي عمر البغدادي كما تم تعين الناصر لدين الله (نعمان الزيدي)وزيرا" للحرب (13)

توسعت رقعة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق لتمتد إلى سوريا بعد إعلان أبو بكر البغدادي ضم فرع العراق مع فرعها في سوريا في 9نيسان 2013 ليصبح الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)(14)

بالنسبة للأسباب والظروف الموضوعية وعوامل تطور التنظيم في العراق ،فقد كان العراق الأرضية الخصبة لتأسيس التنظيم الذي نشر ورسخ منهجه الجهادي الذي كان يتفق مع منهج الأم للحركات السلفية الجهادية في الغايات والأهداف والاستراتيجيات ، الاانه أسس لسلوكيات وتصرفات أخرى لم يسبق ان استخدمتها بقية الحركات الجهادية ، وقد اعترض كبار منظري السلفية الجهادية عليها كاستهداف عوام الشيعة والمسيحيين والديانات والأقليات الأخرى ودور عباداتهم (15) .

ويمكن حصر أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار تنظيم داعش كالأتي :قبل الاحتلال الأمريكي للعراق كان وجود ما يسمى (الجهاديين) اللذين احتضنهم صدام حسين قبل الهجوم الأمريكي بحجة الدفاع عن بغداد في حالة الغزو الأمريكي والذين التحق اغلبهم بالزرقاوي فيما بعد الاحتلال ،ووجود بيئة حاضنة للحركات السلفية الجهادية تمثلت في حركة أنصار الإسلام في جبال كردستان العراق ،هروب المقاتلين (الأفغان العرب) من أفغانستان بعد الهجوم الأمريكي عام 2001 وقصفها لطالبان والقاعدة جعل القاعدة تتخذ من العراق منطقة بديلة لها وتصبح بعد إحداث 2003 منطقة عمليات للتنظيم (16)فقد مثل الاحتلال الأمريكي أهم الأسباب والدوافع للجهاد في العراق ، واعتبره السلفيون الجهاد يون فرصة ذهبية لتطبيق ما يعرف بجهاد (دفع العدو الصائل) الذي يعتبر جهاده فرض عل كل مسلم (17).ومما دفع .

المجاهدين للتوجه للقتال في العراق ، فقد علل بن لادن الدوافع والأسباب التي قاد الأمريكان للاحتلال قائلا" " ان الصراع صراع ديني عقائدي ، والصدام صدام حضارات ، فهم حريصون على تذويب الهوية الإسلامية في كافة إرجاء العالم "ثم وصفها بأنها "حرب صليبية حاقدة " (18)فضلا" عن أهمية العراق الجيوسياسية لتنظيم قاعدة الجهاد اذ اعتبرت القاعدة ان للعراق أهمية خاصة في العمل الجهادي كونه يمثل ممرا" أساسيا" لتجميع الجهاديين العرب ، ومعبرا" قريبا" لإسرائيل ، كما انه يعتبر نقطة ومرتكز لمهاجمة (العدو القريب) وهي أنظمة الحكم في الوطن العربي ، وبذا يكون الساحة الأمثل للعمل الجهادي (19)

المبحث الثالث : اثر الجماعات السلفية الجهادية على التعايش السلمي في العراق :

أولا" : مفهوم التعايش السلمي :

يعد التعايش السلمي (20) من الضرورات الفطرية والأساسية في الحياة الإنسانية ، فهو لايقل أهمية عن ضرورة الطعام والشراب لدى الإنسان ، وقد ربطت الآية الكريمة حاجتي الطعام والشراب مع السلم والأمن الاجتماعي في قوله تعالى " الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " (21).ان مفردة التعايش تعتبر من المفردات المهمة التي أشار اليها الكثير من الأديان السماوية وفي مقدمتها الدين الإسلامي الحنيف في قواعده والسنة النبوية للحفاظ عل كرامة الإنسان ومن الشواهد على ذلك قول الرسول (ص)" الناس بنوا ادم وادم من التراب وقوله تعالى " فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين "(22)، فضلا" عن اعتبر الدين الإسلامي هذه المفردة هي ضرورة ملحة لتواجد الأفراد في داخل المجتمعات وهو بحد ذاتها ثورة لتوحيد المجتمعات ثورة على الذات الأخر الرافضة للذات الإنسانية (23)ويوجد أقسام للتعايش السلمي سنذكرها عل سبيل الحصر والإيجاز :- التعايش الديني : وهوما يكون بين مختلف الأديان السماوية ،التعايش السياسي : وهو ما يكون بين مختلف الدول والحكومات والسلطات السياسية ، والتعايش الاجتماعي : وهو ما يكون بين أفراد المجتمع الواحد وبين مختلف المجتمعات (24).

نفهم مما تقدم ، أن التعايش السلمي حالة نفسية ومعنوية وعقلية ، تعشر الفرد بالاحساس بالاطمئنان على نفسه وماله وعرضه في حله وتر حاله سواء كان فردا" في أسرة او جماعة او دولة وقد حرص الدين الإسلامي على توفيره بل أعطي أهمية كبرى له .

وابرز معالم التعايش السلمي الذي يقره الإسلام لكل الطوائف والمكونات الأخرى ، هو توفيره لغر المسلمين بوجود اندماج يحافظ على جميع مكونات شخصته في طليعتها المكون الديني ، وما يرتبط من ممارسات وعادات بها ويؤكد ذاته عقليا" وثقافيا" ونفسيا" ومعها يثبت خصوصيات هويته مما يتحقق به الانتماء الى ذلك المجتمع ، ويشهد التاريخ ان معاملة المسلمين لغيره في البلاد المفتوحة ، كانت مثالا"رائعا"من التسامح لامثيل له في التاريخ ، ولعل من اكبر الأدلة وأقوى الحجج على قيام الحضارة الإسلامية عبر العصور عل أساس تعايش المسلمين مع اهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتوها خلال قرون متطاولة وعهود مريرة (25)

ثانيا" : اثر الجماعات السلفية الجهادية (داعش)على التعايش السلمي في العراق بين عامي (2014-2017)

لقد امتاز الإسلام برعاية الإنسانية من حيث العموم ، وأصحاب الديانات السماوية من حيث الخصوص فبسط الله تعالى به روح الانتماء بين العشيرة وألف بين الفئات والمكونات المختلفة ونشربه روح العدل والإحسان بين الناس كافة،أما بعد ظهور الجماعات السلفية الجهادية التي أثرت على هذه الثقافة وتشويه صورة الإسلام من جهة ولأن هذه الجماعات التكفيرية تقوم برفع شعاراتها باسم الإسلام من خلال تعديها على حقوق الطوائف والمكونات الأخرى من جهة أخر (26)

يعد تنظيم داعش من أكثر التنظيمات التي تحسب على نفسها على الإسلام أثارة للجدل ومخالفة لمبادئ الشريعة الإسلامية سواء من ناحية الفكر ومن ناحية التطبيق وهي ابتدعت في الإسلام بدعا" لم تحدث من قبل مثل فتوى القتل بالجنسية والقتل بالديانة وتبني مسؤولية المواطن عن سياسة دولته بل ومحاسبته على سياسة لم يصنعها ولم يشارك فيها بل قامت بتكفير كل المسلمين بلا استثناء المتعاونين مع أعدائهم ، فيعتبر أي شخص يعمل في الدولة العراقية كافر، كما ان من يستظل او يحتكم إلى هذا النظام هو كافر أيضا"وهذا ما يؤكده اغلب قادة السلفية الجهادية في جميع خطبهم ومؤلفاتهم ، بما في ذلك رجال الشرطة والجيش بل حتى تم استهداف المدنيين وخاصة الطائفة الشيعية (27)فقد اعتمد هذا التنظيم على فتاوى علماء تجيز لهم قتل أبناء الطائفة الشيعية فقد ارتكب بحقهم مجازر بحق المواكب الحسينية وزوار الأمام الحسين (ع) وتبني سياسة التفجير والتهجير والقتل العشوائي وهذه الأحداث أدت بدورها إلى تأجيج الصراع بين مكونات التعايش بين السنة والشيعة في العراق (28)

وعمدت الى رسم سياسة جديدة وهي تدمير التراث الإنساني وفق الخلل الفكري الذي تملكها هذه الجماعات

فقامت بانتهاك واضح للآثار العراقية عام 2014 في مدينة نينوى فحرقت وسرقت المئات المخطوطات النادرة ثم عمدت إلى تفجر قبر النبي يونس (ع) وهذا التفجير خلف موجه من الغضب وتأكيد الجماعات السلفية عل تدمير التراث الثقافي وطمس هوية الإنسان المسلم والمسيحي،فضلا عن قتل وتهجير الآلاف من الطائفة الايزيدية رغم صغر هذه الطائفة التي يتراوح عددها 400–500 ألف وقيامهم بتفجير السيارات المفخخة في المؤسسات الحكومية والخدمية والمرافق العامة (الأسواق ، منتزهات ، مساجد ، وحسينيات وكنائس ، ساحات وأماكن وقوف العجلات)، وتفجيرات انتحارية بأحزمة ناسفة، وتهريب وبيع الأسلحة وتجاوز واختراق الحدود وتسريب المقاتلين الأجانب من والى العراق، واستهداف واغتيال الطاقات العلمية العقول والخبرات العراقية (أساتذة جامعات ، أطباء ، مهندسين ، محاميين وغيرهم) (29)

يسعى داعش إلى تعقيد عملية أعادة التعايش السلمي من خلال أطالة أمد الحرب الطائفية وترسيخ الهوية الاثنية بدلا" من الهوية الوطنية الموحدة للمجتمع ،وبذا تحول التنوع ألاثني من عامل أبداع ودافع أنتاج وتطوير إلى عامل تناحر وتصارع وعنف داخلي يمزق النسيج الاجتماعي ليجعل الحل السلمي والتعايش المجتمعي بعيد المنال ،فيتطور الصراع وإشكاله ليمتد إلى الأجيال القادمة ، وبذلك يكون البلد مهيأ للتقسيم إلى دويلات على أساس اثني وطائفي وهذا اكبر من اكبر المهددات التي تواجه الدولة وأمنها القومي (30)

يتبين مما سبق ، مارس داعش في العراق إستراتيجية تمزيق النسيج الاجتماعي العراقي من خلال أثارة النعرات الطائفية وتحريف العقائد وتهجير المكونات على أساس أثينية وطائفية للوصول الى هدفه وهو الحصول على موطئ قدم لهم .

لقد أثرت الجماعات السلفية (داعش الإرهابي)على العراق تأثيرا"كبيرا" في جميع ميادين الحياة اذ شكل عائقا" كبيرا" أمام التنمية الاقتصادية من خلال استهداف جميع قطاعات الاقتصاد الوطني ، اذ تسبب في إرهاق ميزانية الدولة العراقية وذلك لتخصيص نسبة كبيرة منها على التسلح والتدريب العسكري وبناء المتاريس الاصطناعية حول الأهداف الجوية وتعيين الحراسات لجميع القطاعات الحكومية والمدنية العامة ، وإصلاح البن التحتية وأبراج الطاقة وأنابيب النقل التي يستهدفها داعش في عملياته وتعويض المتضررين من عمليات داعش (عوائل الشهداء ، مصابين ، معاقين ، أصحاب المصالح المستهدفة وغيرهم)،والاهم من ذلك كله فأن داعش يستهدف وبشكل يومي الإنسان العراقي الذي يمثل المورد البشري للعراق وان المورد البشري يمثل مرتكزا كبيرا" في تحقيق التنمية ، لأن الوطن لايبنى ولا يتطور اقتصاديا"ألا بسواعد أبنائه (31)

سعى داعش أيضا"إلى زيادة حالة الاحتقان والصراع السياسي بين التنظيمات والأحزاب السياسية ،وتعميق الانقسامات الطائفية واستدراج القوات الأجنبية للتدخل في الشأن الداخلي العراقي وانتقاص سيادته ، وأضعاف العراق وعدم قدرته في مواجهة تحدياته الداخلية والخارجية وبالتالي أحداث فوضى هدامة لتحقيق مصالحه ، وبناء سلطة له على حساب سلطة الدولة داخل المجتمع ، وبذا تكون سلطة الدولة غير قادرة على أدارة المجتمع ومؤسساته الاقتصادية والضبطية محدثا"شلل مؤسسي في نظام الأمن والرقابة والذي يؤدي إلى العزلة بين المواطن والسلطة فيضطر الى أيجاد بدائل في توفير الأمن وبذلك تظهر الميليشيات والعشائر والمسلحين محدثين فوض أمنية عارمة ،ومفقدون مؤسسات الدولة دورها في توفير الخدمات والأمن للمجتمع (32)

نستنتج مما تقدم ، ان اثر الجماعات السلفية على المكونات التعايش السلمي وحضارة الإنسان ، أصبح واضحا" ان هذه الجماعات لا تؤمن بأي فكر من الأفكار ولا تؤمن بوجود من هذه المكونات ما لم يؤمن بفكرها ونهجها ، وهذا ما يحرمه الدين الإسلامي الذي يؤمن بوحدة العيش المشترك بين كل المكونات بغض النظر عن انتمائهم الديني والعرقي ، كذلك هذه الجماعات لا تؤمن بحضارة الإنسان ووجودها ،بدليل قيامها بحملة تهديم وتدمير كل الآثار التي تعود إلى الحضارة الإنسانية.

وهنا تطرح تساؤلات :هل يبقى الوضع على ما هو عليه ؟ وما هو دور الحكومة في مواجهة التحديات التي تواجهها خاصة ان داعش اخذ يتوسع في استحواذ أراضي أخرى من العراق ؟ما هو موقف الشارع العراقي من تلك التطورات في ظل استباحت أرضهم؟ هذا ما سيحاول المبحث الرابع الإجابة عليه.

ثالثا" : دور المرجعية الدينية في مواجهة الجماعات السلفية الجهادية (داعش)بين عامي 2014 – 2017

ان ابرز المظاهر التي ولدها نشاط داعش الإرهابي في العراق هو العنف بكل أشكاله سواء ضد الدولة او المجتمع او البنى التحتية للبلاد ، ومن خلال أدراك الحكومة بأن مواجهة التهديدات ف العراق بما فيها ظاهرة الحركات المتطرفة المسلحة لا تتم عبر الحلول العسكرية والأمنية فقط ،فقد سعت الحكومة الى تنفيذ

مشاريع سياسية من شأنها ان تدعم وتعزز من الأمن القومي العراقي لتجعله قادرا" على تحقيق وتأمين المصالح الوطنية للدولة والتي في مقدمتها مواجهة المنظمات والحركات المتطرفة كداعش وغيرها (33) بالرغم من قيام الحكومة العراقية بردع ومواجهة الإرهاب الاانها لم تستطع القضاء عليه ، ولهذا جاء دور المرجعية الدينية لتكمل دور الحكومة العراقية في القضاء على داعش من خلال فتوى الجهاد الكفائي في 13 حزيران 2014 تلك الفتوى التي كانت الرد المناسب والرادع ضد البدعة الوهابية الطارئة التي تبث عقائدها المنحرفة فصنعت دين لا يمت بصلة للدين الإسلامي الحنيف (34)

وقفت فتوى المرجعية بوجه الإرهاب الوهابي – الصهيوني وأوضحت " ان مكافحة الإرهاب لابد ان تتم من خلال التصدي لجذوره الفكرية وتجفيف منابعه المالية ويتطلب ذلك العمل وفق خطط مهينة مدروسة لتأتي بالنتائج المطلوبة والعمل الأمني والاستخباري وان كان يشكل الأساس في مكافحة الإرهاب الاان من الضروري ان يقترن ذلك بالعمل التوعوي لكشف زيف الفكر الإرهابي والخرافة عن جادة الإسلام الحنيف مع نشر ثقافة الاعتدال في المجتمعات التي تقع تحت تأثير الفكر المتطرف " (35)

ان الدور الذي لعبته المرجعية الدينية بإصدار الفتوى التاريخية لم تقتصر ايجابياتها على تشكيل قوات الحشد الشعبي (36) بل اعطت قوة أضافية إلى القوات الأمنية العراقية التي استمدت من الفتوى ما جعلها تعيد تنظيم صفوفها واستعادة قوتها (37)ويضيف حسين الاسدي المتحدث لمكتب الناطق باسم قوات الحشد الشعبي ان " فتوى المرجعية الدينية العليا بتأسيس وتشكيل هيئة الحشد الشعبي أدت إلى تحقيق انتصارات كبيرة لان المشروع لم يكن مشروع بسيط لاستهداف العراق فحسب بل كان مشروع عالمي لتقسيم الشرق الأوسط إلى 53 دولة وفشلت .

هذه المخططات بفضل فتوى المرجعية وتماسك وتآزر القوات الأمنية وبالتأكيد دور المرجعية واضح وبعد ان حصل الانتصار الكبير الأخر الذي آزر هذه الانتصارات وهو أقرار قانون الحشد الشعبي بإمكانية ان يكون هناك حقوق واضحة أمام حقوق الشهداء وأمام حقوق المقاتلين المرابطين على السواتر بالتأكيد "(38) من جانب آخر قال المتحدث باسم حركة النجباء المنضوية في الحشد الشعبي هاشم الموسوي ان " دور المرجعية واضح للعيان حيث أنها تشكل صمام الأمان وتعبر عن تطلعات وأراء الشعوب المسلحة التواقة إلى الحرية والتي ترفض التكفير والذبح والتهجير وترفض الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والإعلامي والاقتصادي " وأضاف ان " الشعوب الإسلامية اليوم تحتفي برموزها وقادتها ومراجعها لأنهم هم الذين شكلوا الخاصرة الحقيقية لمنع التمدد التكفيري على المستوى الإسلامي والإنساني في المنطقة وخصوصا" في العراق " (39).

بناءا" على ذلك ،ثمنت الحكومة العراقية موقف المرجعية الدينية دورها الفعال اذ استطاع العراق التخلص من تنظيم داعش الإرهابي عندما أعلن حيدر ألعبادي رئيس الوزراء الأسبق في تشرين الثاني 2017 بانتهاء العمليات العسكرية في شمال العراق وتحديد يوم خاص بالاحتفال به سمي بيوم النصر .

الخاتمة :

يعد العراق بلد متنوع الطوائف والأعراف وهو تنوع ثقافي وعقائدي ويمكن اذا ما نجح وأعيد هذا الانسجام او التوافق إلى سابق عهده واخذ حلة جديدة في الوقت المعاصر سيتحول إلى نموذج حضاري للتعايش السلمي يحتذي به في الشرق الأوسط .

ان التعامل مع الجماعات السلفية الجهادية كمفردة وكظاهرة بصفتها نتاج وثمرة لتراث التطرف والنظرة الأحادية والانحياز التفسيري للنص الإلهي والامتثال المطلق مع السلف الى حد التقديس أضحى ثقافة مرسخة في عقول المجتمعات الراعية لهذه التنظيمات الإرهابية ، والتي تغذت من الأصولية الجافة نحو الانغلاق والتعصب الديني وخير برهان نجاح تنظيم داعش في تحول الإسلام إلى ثقافة الخوف والترهيب والرعب وإباحة الاعتداء على البشر بدافع ديني .وبالتالي تعكير صفوة التعايش السلمي في المجتمع .

أهم النتائج :

- مناقشة الإشكالية الجهل بالأخر مثل المذاهب الإسلامية الأخرى والديانات العرقية التي تحكم عليها بالتكفير
- تبني إجراءات من شأنها أشراك جميع شرائح المجتمع من شأنها تطوير أصلاح أحوال المجتمع
- ان استبعاد الحوار وضعف قيم الحوار الحضاري الإسلامي يصبح المجتمع فريسة سهلة للعدو.

أهم التوصيات :

- تسليط الضوء على الجوانب المشرقة من دور المرجعية الدينية في العراق
- أبراز دور التحديات التي تواجه المجتمع العراقي والحكومة العراقية عبر البحوث الهادفة التي تنشر أهم الجوانب والحوار والخطاب التوحيدي ومنهج آليات الحوار الحضاري الإسلامي.
- استمرار التواصل العلمي بين الجامعة والحوزة والمرجعيات أينما كانوا .
- أجراء المزيد من البحوث والمؤتمرات والدراسات حول مفهوم التطرف الديني وإبراز منهجية الرسالة الإسلامية في نشر ثقافة التسامح وبناء الإنسان

هوامش البحث :

1- السلفية :مفهوم فكري وسياسي يقوم بالعودة الى الماضي والامتداد بتجربة السلف الصالح وتوحيدها واعتبارها النموذج الواجب الرجوع اليه من اجل أصلاح المجتمع وتطوره وطرحت هذه الدعوة إثناء الاحتكاك مع الغرب والاستعمار ولم تجزم القراءات والبحوث والتأصيل ان كانت السلفية تمثل مذهبا" منفصلا من مذاهب الفقه والكلام بقدر ما ثبت أنها واحدة من أدوات الفقه " السني " التي ظهرت في القرن الثالث الهجري قبالة مساحات حرية العقل ونتاجا ته "الفكرية " التي أخذت تؤسس لمفردات الدولة في السيادة والاستقلال، لمزيد من المعلومات ينظر : زهير الشاويش ، السلفية حركة قائمة في وجه مخالفيها ، حلقة نقاشية ، معهد المعارف الحكمية ، بيروت ، 2004 ، ص8 .

2- أول من أثار مسألة الحاكمية لله وليس للحاكم او الخليفة هم الخوارج وحربهم التي أفضت الى تكفير وقتل الأمام علي (ع) عام 40هه كما ان مسألة التكفير أثيرت فيما يسمى بخلق القرآن من قبل احمد بن حنبل (780- 855) عندما كفر من يقولون بخلق القرآن وتكفير من لا يقولون بكفرهم ، كذلك مسألة الجهاد التي أخذت حيزا" من فكر وكتابات ابن تيمه (ت.728)أيام غزو التتار لبلاد المسلمين وقد عد من أهم المرجعيات الفكرية والفقهية للتيارات السلفية والتي أثرت بدعوة محمد بن عبد الوهاب في بداية القرن 18 م (1703- 1792) لمزيد من المعلومات ينظر : عبد الغني عماد ، السلفية الجهادية او الفرقة الناجية ، دراسة منشورة في موقع مجلة الدفاع الوطني ، 1كانون الثاني 2008 .

3- ان ظروف حركة محمد بن عبد الوهاب السلفية واتحادها مع قبيلة بن سعود وتكوينها جيشا" عقائديا" يقاتل من الدرعية إلى الرياض لإسقاط مملكة الأشراف فيؤسس مملكة برعاية شرعية في أقدس بقاع الأراضي الإسلامية هيأ البيئة المناسبة لتجميع القطبية الاخوانية بالوهابية السلفية على ارض السعودية بعد ان هاجر وهرب اغلب الأخوان المسلمين من مصر الى السعودية وكذلك بعد مطاردة نظرائهم الاخوانيين في الشام ودول عربية اخرمن قبل حكوماتهم وهجرتهم للسعودية لمزيد من المعلومات ينظر: عبد الله بن بجاد العتيبي ، الأخوان المسلمون والسعودية الهجرة والعلاقة ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، 16 أيلول 2013 ،http://www.almesbar.net.

4-عبد الغني عماد ، المصدر السابق ، ص1

-5- عبد الغني عماد ، المصدر السابق ، ص1 .

6- محمد عبد السلام فرج، الجهاد الفريضة الغائبة ، كتاب منشور على موقع التوحيد والجهاد ، ص4-5 ، www. Tawhed.com.

7- محمد عبد العاطي ، جماعة أنصار الإسلام من ..من هي ولماذا قصفت ، مقال منشورفي الجزيرة ، 2014/7/61 http:// www.aljazeera.net

8- ملحق مجلة الرصد ، مجلة شهرية تصدر عن العتبة العباسية ، كربلاء المقدسة ، ط1 ، 2014 ، ص9.

9- المصدر نفسه ، ص9 .

10- حسن أبو هينة ،دار الإسلام والنظام الدولي في فكر السلفية الجهادية المعاصرة ، بحث منشور في كتاب (السلفية الجهادية دار الإسلام ودار الكفر) ط3 ، دبي ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، 2011، ص80 .

11- انظر : الإعلان عن قيام دولة العراق الإسلامية ، مؤسسة النخبة 2012 ، http

://nokbah.com.

12 – حسين جاسم الخزاعي ، داعش وأثره على الأمن القومي العراقي ، دار الحكمة ، لندن ، 2015، ص105

13 – المصدر نفسه ، ص 106

14 – الدولة الإسلامية في العراق والشام ، http://ar.wikipedia.org.

15– رسالة أبي محمد المقدسي ،ألزرقاوي مناصرة ومصالحة ، أمال وألام ، منبر التوحيد والجهاد ، 1425هـ ،www.tawhed.ws

16– حسين جاسم الخزاعي ، المصدر السابق ، ص114

17– يقول ابن تيمية " وأما قتال الدفع فهو اشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب أجماعا" فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشيء اوجب بعد الأيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان "لمزيد من المعلومات ينظر :محمد حامد ألفقي ، الاختيارات الفقهية لأبن تيمية ، ط1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1397 هـ ،ص309

18–مراد بطل ألشيشاني ، تنظيم القاعدة الرؤية الجيوسياسية والإستراتيجية والبنية الاجتماعية ، ط1ابوظبي، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2012 ، ص ص59 –60

19– المصدر نفسه ، ص 60

20– التعايش : كلمة مشتقة من فعل تعايشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي عايشه عاش معه والعش معناه الحياة من المطعم والمشرب ، أما اصطلاحا" : فهو عبارة عن اتفاق الطرفين على معظم وسائل العيش ، أي الحياة فيما بينهم وفق قاعدة يحددون فيها السبل المؤدية أليه والتعايش هو التفاهم حول الأهداف المتفق عليها بين الطرفين ويكون القصد منها الخدمة الإنسانية ، لمزيد من المعلومات ينظر : رعد عساف التميمي ،مبدأ التعايش أسس وأهداف في ضوء الكتاب والسنة ، مؤسسة العهد الصادق ، قم المقدسة ،د.ت ، ص41–42

21– سورة قريش ، الآية 4

22 – سورة الإسراء ، الآية 70

23– www.kitabat.com.

24– جريدة الأنباء الكويتية ، العدد 3 ،كويتية يومية سياسية شاملة ، 2014 .

25– مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ، المجلد 26 ، العدد 3 ، طهران ، 2010

26– يحيى الدين حسين يوسف ، التعايش السلمي بين الشعوب الإسلامية ، ط1 ،الأمارات العربية ، 2008، ص20 .

27– ناجح إبراهيم ، الخلل الفكري والاستراتيجي في تنظيم القاعدة ، ط1 ، بيروت ، د.ت ، ص11 .

28– مهدي حسن الخفاجي ، المشروع الطائفي العربي وأثره على الواقع السياسي العراقي ، ط1 ، بغداد ، 2006 ،ص60 .

29– كريم حمزة ، المصدر السابق ، ص18 .

30 – عماد علو ، التداعيات الاجتماعية لتمدد تنظم داعش ، مقال منشور في موقع صحيفة الزمان العراقية، 6 أيلول 2014 www.azzaman.com.

31– زيد بن محمد الرماني ، البعد الاقتصادي لظاهرة الإرهاب ، مقال منشورة ، 18 آذار 2013 http://www.alukah.net/culture.

32– كريم محمد حمزة ، المصدر السابق . ص24 .

33– حسين جاسم الخزاعي ، المصدر السابق ،ص163 .

34– http:// ar.farsnews.com

35– ممثل المرجعية : النصر على داعش لايعني انتهاء المعركة مع الإرهاب . 2017/12/15 http://uruknews.net

36 – الحشد الشعبي : قوات نظامية عراقية وجزء من القوات المسلحة العراقية تأمر بآمرة القائد العام للقوات المسلحة ومؤلفة حوالي 67 فصيلا"تشكلت بعد فتوى الجهاد الكفائي وقد قام المرجع الديني الشيعي علي السياستاني كونه له دور في تأسيسه بإصدار توجيهات دينية عددها 20 نقطة تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم داعش من ضمنها التعامل بألا خلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس والأهالي المنتمين لداعش بأي أذى او اضطهاد ، لمزيد من المعلومات ينظر: .ar.wikipedia.org

37– حيدر فرحان حسين الصيبحاوي ،المرجعية الدينية والحشد الشعبي في العراق ، القوة الخارقة في الحرب ضد الإرهاب ، مركز حمو رابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية ..almuraqai.aliraqi.org

38– حيدر فرحان حسين الصيبحاوي ، المصدر السابق .ص1

39 – المصدر السابق . ص ص2 –3

<u>قائمة المصادر</u> :

أولا" : القران الكريم :

- سورة الإسراء ، الآية 70
- سورة قريش ،الآية ، 40

ثانيا" :الكتب :

1–حسين جاسم الخزاعي ،داعش وأثره عل الأمن القومي العراقي ، دار الحكمة ، لندن،2015

2–رعد عساف التميمي ،مبدأ التعايش وأهدافه في ضوء الكتاب والسنة ،مؤسسة العهد الصادق ، ط1 ، قم المقدسة ، د.ت.

3–زهير الشاويش ، السلفية فرقة قائمة في وجه مخالفيها ، حلقة نقاشية ، معهد المعارف الحكمية ، بيروت 2004

4-عبد الغني عماد ، السلفية الجهادية او الفرقة الناجية ، دراسة في موقع مجلة الدفاع الوطني ،10 كانون الثاني ، 2008

5-محمد حامد ألفقي ، الاختيارات الفقيه لأبن تيمية ، ط1 ، بيروت ، دار المعرفة ،1397 .

6-مراد بطل ألشيشاني ، تنظيم القاعدة الرؤية الجيوسياسية والإستراتيجية والبنية الاجتماعية ، ط1 ، أبو ظبي ، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2012 .

7-مهدي حسن الخفاجي ، المشروع الطائفي العربي وأثره على الواقع السياسي العراقي ، ط1 ، بغداد ، 2006 .

8-يحيى الدين حسين يوسف ، التعايش السلمي بين الشعوب الإسلامية ، ط1 ، الأمارات العربية ، 2008، ص20 .

ثالثا" :الدوريات :

1-جريدة الأنباء الكويتية ، العدد 3 ، كويت ، 2014 .

2-مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ، المجلد 26 ، العدد 3 ، طهران ، 2010

رابعا" : المواقع الالكترونية :

1- http:// www.alukan.net.
2- http:// www.aljazeer.net.
3- http:// www.almesbar.net
4- http://www.azzaman.net.
5- http:// www.aliraqi.org.
6- http://ar.farsnews.com.
7- http://www.uruknews.net.
8- http:// www.kitabat.com.
9- http://www.tawhed.com.
10- http://www.nokbah.com
11- http:// ar.wikipedia.org.